تربية الأطفال

على أي شيء يتربى أطفالنا هذه الأيام؟! إن جزءاً ليس بقليل من تربيتهم يتم في هذه الأيام عن طريق ما يشاهدونه من أفلام الصور المتحركة (الكرتون)، وما شابهها من برامج الأطفال التي لايعدو معظمها أن يكون ممثلاً للحياة على أنها حياة خرافية أو تافهة أو خيالية، وبعضها يتطرق بشكل مباشر أو غير مباشر إلى علاقات الحب والغرام.

والجزء الآخر من التربية الذي يؤثر على حياة أطفالنا، هو أن الطفل يمضي معظم وقته في الدراسة وحل الواجبات والاهتمام بالامتحانات، وتبدو هذه الأمور في ذهن الطفل منذ دخوله الروضة وكأنها هي هدف الحياة الأسمى.

وبين هذين الجزأين في البيت والمدرسة يقضي الطفل معظم ساعات اليوم.

أما الجزء الثالث الذي يؤثر في حياة الطفل فهو أثر المجتمع والمحيط من حوله، الذي يمثل بقية جوانب الحياة التي يراها الطفل، على أنها لاتكاد تعدو في معظمها عن كونها شغلاً بالأكل والشرب والترفيه والنوم والجرى وراء المادة في كثير من الأوقات، وهناك جزء يسير لبعض العبادات لايكاد يرتقي إلى مستوى الاهتمام بالأكل والشرب والترفيه عند الكثيرين إلا من رحم الله.

ومن هنا فإننا لا نكاد نشعر أن لدى أطفالنا آمالاً كبيرة،

وأهدافاً سامية، في الحياة أو المجتمع، وأعظم ما نجده من أهداف.. أن الطفل يريد أن يصبح طبيباً أو مهندساً، هذا إذا لم يكن هدفه الكبير أن يصبح مغنياً أو لاعب كرة، ولا اعترض بهذا على أن يكون للطفل هدف ما يمثل مستقبل عمله الشخصي، ولكني أردت الإشارة إلى أننا قلما نجد حافزاً لأطفالنا يبعث في أنفسهم الرغبة في التعلق بالأهداف الكبيرة، والانشغال بالقضايا الهامة التي تعيشها الأمة، وتحدد مستقبلها بل لم نعد نجد اهتماماً كافياً لدى الأطفال بمعنى الحياة ومغزاها من وجهة النظر الإسلامية، وضاع بذلك الاهتمام بمصير الأبناء في الآخرة في خضم الحرص على الأهداف الأخرى للحياة الدنيا، فبينما نجد الأب يحرص على إيقاظ ابنه أو ابنته للذهاب إلى المدرسة في موعدها، نجده لا يفكر في ايقاظهما لصلاة الصبح مثلاً، وكذلك نراه يحرص على صحة ابنه، وربما اجرى له فحوصاً دورية على قلبه وجسمه، وأعطى له عقاقير وقائية تقيه من الأمراض المعدية والخطرة، ولكنه لا يحرص على أن يكون قلب الطفل وفكره مع الله وحياته ومماته وسعيه لله، وكلنا يعرف قصة الطفلين اللذين جاءا إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه السماح لهما بالمشاركة في معركة أحد، لقد كانا يعيشان أحداث الأمة ويشعران بواجبهما تجاهها على الرغم من حداثة سنهما.

ولقد قرأت في تفسير قول الله تعالى ﴿..... **ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين**...﴾[1] أن المسلم لا تقر عينه إلا عندما يراهم قريبين من الله، ولا يمكن أن تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه سائر إلى النار، فلننظر بم تقر اعيننا من أطفالنا اليوم؟ ففي هذا دليل على مدى حبنا لهم، ما أكثر الناس الذين تقر أعينهم من أطفالهم بشهادة دنيوية أو بنجاح زائل. وياليتهم يجمعون بين هذا وذاك، لقد سمعت

---

(١) الفرقان ٧٤.

ورأيت آباء وأمهات يكرهون لابنائهم أن يسيروا في طريق الخير، بل أن بعضهم يعمل على دفع ابنائه إلى طريق الشر وإنا لله وإنا إليه راجعون، ومن هذا المنطلق يمكن أن تنشأ دعوة جادة نحو إعادة النظر في تربية الأطفال تربية تؤمن لهم المستقبل الحقيقي في الدارين.

ولقد لمست وأنا أدعو لمثل تلك الدعوة واطرح هذا الموضوع، أن الناس قد يئسوا من الخلاص وأصابهم الاحباط، بحيث اصبحوا يعتقدون أن الخروج من هذه المحنة أمراً مستحيلاً، ويبررون ذلك بأن الآباء يعدون في أغلب الحالات قدوة سيئة لابنائهم، وأن الأعداء من الداخل والخارج قد عملوا على إفساد الطفل بالوسائل المختلفة إعلامياً وتعليمياً أو ترفيهياً، وفي اعتقادي أن الأمر ليس بالمستحيل وأن كل أمر جاد لابد وأن تكون بدايته صعبة. . . وهذا الداء العضال الذي يهدد مستقبل الأمة لابد من العمل الجاد لخلاصها منه، قبل أن يستشري في جسمها وعندئد لاتنفع المحاولات ولا يفيد الندم.

إن هذا الأمر يقتضي اهتماماً على كل المستويات فعلى الآباء والمربين ووسائل الإعلام والعاملين بها، مسؤولية عظيمة تجاه الاهتمام بالأطفال من الجانب الذي يريده الإسلام، وتقتضيه المرحلة الحالية للأمة الإسلامية. إننا لانطلب كثيراً إذا قلنا بوجوب الإهتمام بالأطفال من هذه الناحية التربوية اهتماماً لايقل عن اهتمامنا بالجوانب الأخرى من حياتهم سواء الدراسية منها، أم الترفيهية، ويوم نخطو مثل هذه الخطوة نكون قد وضعنا اقدامنا على أول الطريق الصحيح في تنشئة جيل المستقبل.